قــراءة النـــص الشعــري بنيــويا
مقاربة نظرية وتطبيقية

أ/ محمـــد عـ ـوس
جامعة بسكـرة – الجزائر

ملخص

تسهدف هذه الدراسة الكشف عن الآليات الاجرائية التي تسمح بتحليل النص الشعري من وجهة نظر بنيوية، ذلك أن المنهج البنيوي هدفه البحث عن العلاقات التي تنشأ بين العناصر المكونة للنص مثل : بنية القرابة التي لا نمسك بها إلا في العلاقة بين عنصرين أو أكثر مثل علاقة الأخوة أو الأبوة.

و لذلك يسعى المنهج البنيوي إلى بيان كيف تتحق الدلالة بالبحث في العلاقات بين العناصر النصية و تحديده البنية العامة أو البنيات الجزئية للنص أما الدلالة ذاتها فلا تهم المحلل البنيوي.

إن سؤال المنهج البنيوي هو كيف؟ أما السؤال لماذا فمؤجل، و عليه فما هي الآليات الاجرائية التي يمكن بواسطتها تحليل النص الشعري من منظور المنهج البنيوي؟

Abstract

This study aims to reveal the procedural mechanisms which allow to analyze the poetic text according to a structural point of view, since the subject of the structural method is to find relationships between the different elements of the text; as an example the structure of consanguinity which we can only find through a relations between two members or more such as fraternity and paternity.

As a result, the structural method isoriented toshow whether it can be semantic or not when looking into relations between the

elements of the text and to precise the main structure as well as the sub-structure of the chosen text. Regarding to the semantic itself, it's not relevant to the structural analyzer.

The main question of the structural method is How. As for the question Why,it's postponed .Therefore, what are the procedural mechanisms that may lead to the analysis of the poetic text through the structural method vision?

تهدف المناهج النقدية من بين ما تهدف إليه إلى إضاءة النص الأدبي، وتزويد الدارس بآليات منهجية، تعطي القراءة نوعا من التأسيس العلمي، والنتائج نوعا من المعقولية والمقبوليـة.

وباعتبار البنيوية أحد المناهج النقدية المعاصرة، التي سعت في إطار البنيوية الأدبية إلى وضع آليات قرائية يُسترشدُ بها، وتسمح بالكشف عن البنيات المكوِّنة للنصوص، فإن التساؤل حول قراءة النص الشعري بنيويا مازال مثار تساؤل وبحث، مهما قيل عن تجاوز المنهج البنيوي من طرف بقية المناهج. إذ أن البنية تبقى المنطلق الأساس لكل قراءة تريد أن تكون مؤسسة.

ذلك أن « البنيوية في أساسها المتميز نظام تحليلي »[1]، وأساس التحليل يجب أن يرتكز على المبادئ الأساسية للمنهج البنيوي؛ كمبدأ الكلية والانتظام الذّاتي والمحايثة، وهي المبادئ التي تحقق فكرة العلاقة بين عناصر البنية. إذ أن « المقولة الأساسية في المنظور البنيوي ليست هي مقولة الكينونة، بل هي مقولة العلاقة. والأطروحة المركزية في البنيوية هي توكيد أسبقية العلاقة على الكينونة، وأولوية الكل على الأجزاء »[2].

والمحلل البنيوي يتعامل مع ما أمامه من نصوص على أنه « مجموع أجزاء، أو وحدات صغيرة تشكّل هذا البناء. وإدراك العلاقات القائمة بين هذه الأجزاء أو تلك البنيات هو عمل البنيوي»[3].

يطبق المحلل البنيوي آليات المنهج على الظواهر التي من شأنها أن تشكل بنية، أي «مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها، بحيث يتوقف كل

عنصر على باقي العناصر الأخرى، وبحيث يتحدد هذا العنصر بعلاقته بتلك العناصر»[4]، ومن تلك الظواهر النص الأدبي، الذي يكفي أن تنشأ بين عناصره علاقة كلية، حتى يكون مجالا للدراسة البنيوية سواء كان قديما أم حديثا، شعرا أم نثرا، مخلصا لفكرة نقاء الجنس الأدبي أم كتابة متجاوزة حدود الأجناس الأدبية، إذ أن المنهج « البنيوي يتعلق باستقبال النص لا بإنتاجه »[5]، و« ليس ثمة أدب بنيوي، بل هناك قراءة بنيوية لنص من النصوص »[6]، وهذه القراءة يجب أن تتأسس على مبادئ المنهج.

ولذلك سعت البنيوية الأدبية لتأسيس منهجية علمية لدراسة الظاهرة الإبداعية. إذ يركز المحلل البنيوي في دراسته للأدب على « كيفية تحقيق الدلالة، وكيف يحدد النظام الكلي قدرة البنى الصغيرة على تحقيق الدلالة، لكنه لا يكترث كثيرا للدلالة نفسها، فليست من مهام اللغوي البنيوي التوقف عند أكثر من كيف يتم تحقيق الدلالة »[7].

ومنه تهدف الدراسة البنيوية للأدب إلى الإجابة عن السؤال كيف؟ ولا تهمها بقية الأسئلة كمن؟ ولماذا ؟ ومنه فهي تدرس العناصر المكوِّنة للنص الأدبي (صوت، مفردة، جملة، خطاب...) بغرض الكشف عن العلاقات التي تحكمها وتحقق مميزاتها كبنية.

في التحليل البنيوي للنص الأدبي يتم الاشتغال على الدوال، أما المدلولات فمسألة لا تهم المحلل البنيوي، إذ النص الأدبي من منظور بنيوي بنية مغلقة مستقلّة بذاتها.

وينشأ التحليل البنيوي للنص الأدبي على مقولة موت المؤلف، وعليه يُعزل النص الأدبي عن كل سياق خارجي عند التحليل. لكن، ما الفائدة من تحرير النص من مؤلفه؟ يجيب رولان بارت – صاحب مقولة موت المؤلف– « بمجرد أن يُزال المؤلف فإن الرأي القائل بإمكان تفسير النص أو حل شفرته يصبح رأيا متهافتا، ذلك أن إعطاء النص مؤلفا محددا يعني فرض محدودية على النص أو ربطه بمدلول نهائي لا يتغير. أو بمعنى آخر قفل النص »[8].

إذا كان هذا شأن النص والمؤلف والسياقات الخارجية، فما شأن القارئ البنيوي ؟

إن اعتبار اللغة نسقا مغلقا من وجهة نظر بنيوية، فإنه مثلما تمّ عزل المؤلف بموته والسياقات بإزاحتها، فقد عُزل القارئ وأصبح قارئا –كما يقول بارت– «يتمتع بالمشهد اللغوي الذي ينتجه النص بدلا من النظر إلى العالم من خلال اللغة»[9]. فهو شخص مدرب على فكّ الشفرات، واكتشاف العلاقات، ولا يجب أن يتعدّى دوره الاستمتاع بلعبة التحليل والتركيب. وهكذا « يتنازل المؤلف عن وظيفته للكتابة، وتمتص الكتابة وظيفة القارئ، الذي يتنازل للقراءة عن دوره الفاعل، ومن هنا لابد أن تغيب مفاهيم الذّاتية والوعي لدى المؤلف ولدى القارئ، وتتم عملية إزاحة الإبداع والتفرد والعبقرية والتميز، وهي المفاهيم التي حكمت أدبية الأدب عصورا طويلة»[10]، إذ أنه باختيار نفس المداخل القرائية يتم اكتشاف نفس البنيات، وإذا أخذت الدهشة القارئ عند التحليل الأولي واكتشاف البنية، فإن الروتين سيصيب القارئ عند التكرار والإعـادة.

وتعتبر فكرة النظام الذي يحكم النص من خلال العلاقات التي تنشأ بين العناصر المكوِّنة له، هي النسيج الخفي الذي تتعلق به مهمّة المحلل البنيوي، وعادة ما تكون تلك البنيات ذهنية وشاملة للنص كله.

وحتى يتمكن الدارس من تحليل النص الشعري بنيويا يمكن أن يستعين بجملة من الآليات والمراحل والمداخل، وذلك ما يمكن بيانه في العناصر الآتية:

أولا: الآليات الإجرائية للتحليل البنيوي

يستمد المنهج البنيوي آلياته الإجرائية من المنهج التجريبي، الذي يعدّ أحد مرتكزاته المعرفية، مع ما يميز العلوم الإنسانية من خصوصيات، تتعلق بالدارس وموضوع الدرس، وتتمثل تلك الآليات في:

1- **الملاحظة:** أي ملاحظة الوقائع ووصفها، أو التعرف على الظواهر والنصوص، من دون الحكم عليها، يقول كلود ليفي ستروس: « إن جميع

الوقائع يجب ملاحظتها ووصفها، ملاحظة ووصفا دقيقين بحيث نفوت الفرصة على الأحكام المسبقة»[11]

2- **التجربة:** وهي على شكلين:

أ- **تجريب على الوقائع:** وذلك بالتأكد من المعلومات التي تم جمعها عن طريق الملاحظة، وهنا تحضر فكرة الارتداد، كأحد المراحل المصاحبة للتحليل البنيوي.

ب- تجريب على النماذج: أي بناء النماذج والتجريب عليها، باكتشاف البنية الأساسية للوقائع المدروسة، كما فعل بروب، وكلود بريمون وغيرهما.

3- **الصياغة النظرية للنماذج:** وذلك بوضع تصور نظري للوقائع أو الظواهر المدروسة، بحيث يتم وضع صياغة نظرية تسمح بفهم الوقائع أو الظواهر وتعبّر عنها دون تعقيد.

4- **الوصول إلى البنية:** إن بناء النماذج والصياغة النظرية لها هو ما يوصل إلى بنية العمل الأدبي أو الظاهرة المدروسة.[12]

وقد أسفرت نتائج التحليل البنيوي للنص السردي، على العديد من النماذج المتعلقة بالزمان والأحداث والشخصيات. وما على المطبق على الأعمال السردية إلا محاولة استعادة النموذج، بما يتلاءم والعمل المدروس. وهذه النماذج بمثابة نحو للنص مقابل نحو الجملة؛ كنموذج بروب ونموذج كلود بريمون أو بارت أو غريماس أو غير ذلك.

غير أن النص الشعري المتسم عادة بالفرادة والتكثيف، يبقى مستعصيا عن النماذج الجاهزة، ولذلك تعددت مداخل التحليل البنيوي للنص الشعري، إذ القصيدة الشعرية تحتوي على مجموعة من الأنظمة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والعروضية، ومهمة المحلل البنيوي هي اكتشافها، وإيجاد العلاقات بينها، في نظام يشمل النص الشعري كله.

إذ «التحليل البنائي للشعر يسير في اتجاه رأسي من السطح إلى العمق»[13]، وعلى المحلل البنيوي «أن يتفحص بنية أبيات القصيدة وتوزيع القوافي، والتفاعيل والجرس الموسيقي، وأن يجمع أجزاء تحليله في وحدة

شاملة ليتبين أن المستويات المختلفة تتقاطع وتتداخل وتتكامل وتصبغ القصيدة بلون معين»[14].

ومهما تعددت مداخل التحليل البنيوي للنص الشعري، فإن الهاجس الأوحد بين هذه المداخل، هو الإمساك بالبنية التي تحكم النص من خلال العلاقات بين مكونات النص الشعري. بحيث نفهم من خلالها كيفية تحقيق الدلالة. وبذلك يمكن تحليل النص الشعري بنيويا والتعرف على الميكانيزمات الفاعلة فيه، والاستمتاع بلذّة الاشتغال اللغوي.

ثانيا: مراحل التحليل البنيوي للنص الشعري

باستقراء المدونة النقدية التي حاولت مقاربة النص الشعري بنيويا يمكن التوصل إلى المراحل الآتيـة:

1- تحليل العنوان واكتشاف بنيته.
2- تقسيم النص إلى مقاطع.
3- تحليل كل مقطع والكشف عن العلاقات التي تحكم بنيته.
4- الربط بين العلاقات والوصول إلى النموذج.
5- البنية الشاملة للنص.

ثالثا: مداخل التحليل البنيوي للنص الشعري

تتعدد المداخل التي يمكن أن نحلل بها النص الشعري بنيويا، حسب طبيعة النص الشعري المدروس، ووجهة نظر الدارس، ومن أهم هذه المداخل:

1- الثنائيات المهيمنة على النص، ذلك أن « محور الثنائية أساسي في المنهج البنيوي، إلا أنه ليس وصفة جاهزة تصلح لاكتشاف الخواص المميزة لكل نص شعـري»[15].

ومن أهم الثنائيات التي تمثل نماذج للتحليل البنيوي: الموت/ الحياة، الحركة/ السكون، الحق/ الباطل، الخير/ الشر، الديني/ الدنيوي ...

ويتم اكتشاف نظام الثنائيات من خلال الملفوظات المتعارضة أو المواقف المتضادة، وقد تكون مباشرة أو ضمنية.

2- صيغ العبارت، ودورها في تكوين العلاقات بين عناصر النص الشعري كالنداء، والاستفهام ...

3- ظاهرة التكرار؛ وقد يتعلق التكرار بصوت أو بنية صرفية أو إسنادية أو عروضية.

4- الصور البيانية، وعلاقات الحضور والغياب اعتمادا على التشبيه وما يتيحه من علاقات استبدالية، أو الكناية وما تنتجه من علاقات نظمية مثلا.

5- الانزياح ومفارقة الألفاظ لصورتها الصوتية أو المعجمية، وتشكيلها لنمط بنائي جديد، بما يُنسج من علاقات بين تلك الألفاظ.

6- الانطلاق من المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية.

وغير ذلك من المداخل اللغوية أو الذهنية أو الشكلية...

ومهما تداخلت أو تقاربت هذه المداخل، فيتحتم على المحلل البنيوي للنص الشعري إيجاد نموذج يشمل بنية العمل المدروس، يتحقق بواسطته الإجابة عن كيفية تحقيق الدلالة وإنتاجها، وليس الدلالة، أي كيف يقول النص، وليس ماذا يقول النص، فتلك ليست من مهام المحلل البنيوي.

رابعا :نموذج تطبيقي

واسع ..

كل هذا الضيق[16]

تضيق البلاد الفسيحة بي
حين يتسع القلب
والأرض تصحو
بعيدا عن الشمس
حين أباغتها بالعراء ...
فاجعٌ وجه هذا الطريق
فهل أشتهي العمرَ
أم أدّعي الموت في كبريا ... ؟
ها أنا بين ما لا أشاءُ

وما لا أشاءْ ...
أرابض في الصمتِ
أحنو قليلا على الذكرياتِ ..
على قدميَّ تنام الجسورُ
ولا أستطيع العبور إلى العطر
يا وردة الانتماء ..
مفرد في زحام الجهات ..
أفتّش عن أي صوت
يدلُّ عليَّ..

يمكن تقسيم هذا النص إلى ستة مقاطع بناء على منطق الثنائيات. أما العنوان فيمثل بدوره بنية كبرى تندرج ضمنها كل البنيات الصغرى المكوِّنة للنص. وقد استند إلى ثنائية ضدية تستولي على البنية الذهنية للمتلقي، وتجعله يصاب بنوع من الصدمة وهو يحاول إعادة إنتاج العلاقات المكونة للنص. فواسع .. كل هذا الضيق، تجعل التناقض حاصل بين هذا الذي تم تحديده وتعيينه بالتعريف والإشارة، وتحديده بالكل، وهذا الاتساع الذي يحمل صفة التنكير، وبذلك فالتعارض الظاهر في الثنائية الضدية الاتساع/ الضيق يُنشئ علاقة جوهرية بين ما يبدو للوهلة الأولى متناقضا ويُحوله إلى بنية متماسكة تحكم العلاقات المشكلة للعنوان.

المقطع الأول: ويتضمن السطرين الشعريين الأول والثاني

تضيق البلاد الفسيحة بي
حين يتسع القلبُ ..

يتأسس هذا المقطع على الثنائية الضدية السابقة، مع قلبها، وربطها بفعل المضارع، لتتأكد فاعلية العلاقة بين عناصر هذه الثنائية الضيق/ الاتساع. و هذه الثنائية لها علاقة بين ما هو مادي (البلاد)، وما هو معنوي (الأنا والقلب)، وضيق البلاد واتساع القلب يحيل إلى ثنائية ذات علاقة بالثنائية السابقة وهي الاستبداد/ الحرية، ويمكن تحويل العلاقات الضدية إلى علاقات تلازمية الضيق ←◄ الاستبداد،الاتساع ←◄ الحرية.

المقطع الثاني: ويتكون من الأسطر الشعرية الثالث والرابع والخامس

والأرض تصحو
بعيدا عن الشمس
حين أباغتها بالعراءْ ...

إن صحوة الأرض لا تعدو إلا أن تكون تعبيرا عن صحوة أهلها، ولكن فعل الصحوة دائما غير مرغوب فيه، لأنه يعبّر عن اليقظة والنهوض، ولذلك يجب أن يكون بعيدا عن أعين الرقباء، في ظل ثنائية الضيق والاتساع، وهو ما يؤسس ثنائية جديدة الاستسلام / الصحوة، التكتم / الجهر.

المقطع الثالث: ويحتوي على الأسطر الشعرية السادس والسابع والثامن

فاجعٌ وجه هذا الطريق
فهل أشتهي العمرَ
أم أدّعي الموت في كبريا ... ؟

هذه الأرض التي باغتت القارئ بالعراء، جعلته في أحد خيارين ينشآن علاقة ضدية بين ثنائية حب الحياة / ادّعاء الموت.

المقطع الرابع: من السطر التاسع إلى الثاني عشر

ها أنا بين ما لا أشاءُ
وما لا أشاءْ ...
أرابض في الصمتِ
أحنو قليلا على الذكرياتِ ..

يتعلق المقطع الرابع بثنائية ذات علاقة بالاتساع والضيق، إنها الوحدة / التشتت، فكل الاختيارات غير مرغوب فيها، ولا سبيل إلا التوحد مع الصمت والذكريات.

المقطع الخامس: ويتكثل في السطرين الثالث عشر والرابع عشر

على قدميَّ تنام الجسورُ
ولا أستطيع العبور إلى العطر

وما يميز الموقف هو السكون ولا سبيل للحركة، على الرغم من توفر أسبابها. وهو ما ينشئ العلاقة بين ثنائية ضدية جديدة: السكون / الحركة.

المقطع السادس: ويتمثل في الأسطر الشعرية من الخامس عشر إلى الثامن عشر

يا وردة الانتماء ..
مفرد في زحام الجهات ..
أفتّش عن أي صوت
يدلُّ عليَّ..

يمثل هذا المقطع فضاء لثنائية جديدة بين الذّات المفردة التي تبحث عن أي شيء يدلّ عليها وأي طريق يوصل إلى المبتغى، فلا تجد إلا الآخرين، فتكون ثنائية الذّات / الآخرون لصيقة بالضيق والاتساع.

وذلك ما يمكن حوصلته في الجدول الآتي:

العنوان	الضيق	الاتساع
المقطع 1	الاستبداد	الحرية
المقطع 2	الاستسلام	الصحوة
المقطع 3	ادعاء الموت	حب الحياة
المقطع 4	الوحدة	التشتت
المقطع 5	السكون	الحركة
المقطع 6	الذّات	الآخرون
الثنائية الضدية العامة	الواقع التأزم	الأمل المنشود

تحكم النص علاقات ضدية بين الثنائيات النصية، وتحيل تلك العلاقات إلى رسم نموذج تصوري للنص يتمثل في **بنية الصراع بين واقع متأزم وأمل منشود.**

ما يمكن أن ننهي به هذه المقاربة، هو أن قراءة النص الشعري بنيويا تتيح للدارس الإمساك ببنية النص، والانطلاق من ملفوظاته ــ سواء على مستوى الحضور أو الغياب ــ لكشف العلاقات التي تسمح بالوصول إلى بنية شاملة للنص. وقد تختلف هذه البنية باختلاف المداخل القرائية، ولكنها

تؤسس لتفرد النص الشعري، وتعلي من كونه دالا، تتجسد فيه جماليات اللغة الشعرية.

الإحالات:

[1] ــ محمد عباس عبد الواحد: قراءة في النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي – دراسة مقارنة– دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1996م، ص 68.

[2] ــ رجاء جارودي: البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط4، 1979م، ص 13.

[3] ــ المرجع السابق، ص 68، 69.

[4] ــ الزواوي بغورة: المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001م، ص 68.

[5] ــ محمد عباس عبد الواحد: قراءة في النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، ص 68.

[6] ــ المرجع نفسه، ص 68.

[7] ــ عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، عدد 232، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب, الكويت, 1998م, ص 203.

[8] ــ يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، 1991م، ص 44، 45.

[9] ــ عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، ص 205.

[10] ــ ميجال الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا معاصرا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، ص 74.

[11] ــ كلود ليفي ستروس: الأنثروبولوجية البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية، 1977م، ص 307.

[12] ــ ينظر: الزواوي بغورة: المنهج البنيوي, بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، ص 116, 117.

[13] ــ صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص 243.

[14] ــ محمود عباس عبد الواحد: قراءة في النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا العربي –دراسة مقارنة-، ص 73.

[15] ـــ صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 9.

[16] ـــ عبد الرحمان بوزربة: قصيدة واسع.. كل هذا الضيق، مجلة الثقافة،عدد 10، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م، ص 170.